

متحف زبانا بالجزائر "دراسة متحفية و تقويمية"

بوعجينة دريسي راضية

المدرسة الوطنية لحفظ و ترميم الممتلكات الثقافية / الجزائر

r.drici@gmx.com

الخلاصة

يعتبر المتحف من المؤسسات الثقافية التي تمثل الهوية الوطنية من خلال التراث الثقافي الذي تحتضنه. و يهتم علم المتاحف كعلم تطبيقي بدراسة المتحف و تاريخه و دوره في المجتمع و اختصاصاته العلمية في الحفظ و في العرض و التنشيط و البث وغيره. فالمتحف هو المصدر الأساسي للمادة التاريخية التي تربط بين كل من الإنسان و المجتمع و التراث. ومن خلال هذا المقال نحاول ابراز أهمية الدراسة العلمية للموروث الثقافي المحفوظ في هذه المؤسسات. تندرج هذه الدراسة في تعريف المجموعات المتحفية و تسييرها و حالة حفظها مع مقارنة لطرق العرض و التخزين ، و أخذنا "متحف زبانا" كحالة لهذه الدراسة. و بفضل هذه الدراسة يسهل الاستدلال و التعبير عن الاحتياجات الأساسية و المناسبة لحفظ و تثمين التراث الثقافي و ابرازه كوسيلة فعالة في التنمية و وضع ديناميكية في كل من الميدان الاجتماعي و الثقافي و السياحي.

الكلمات المفتاحية: المتحف ، الحفظ الوقائي ، العرض ، التخزين ، المجموعات المتحفية.

Museum of Zabana in Algeria, 'museological study and assessment'

Bouadjina Drici Radia

r.drici@gmx.com

Abstract

The museum is a cultural institution that represents the national identity through the cultural heritage it preserves. Museology is considered a science that is applied in the study of the museum, its history, its role in society and its scientific specialties in conservation, presentation, animation, transmission and others. The museum is the main resource of the historical material that binds man, society and heritage. In this article, we try to emphasize the importance of the scientific study of cultural heritage preserved in these institutions. This study deals with the presentation to the management and conservation of museum collections with an approach to exposure and storage methods. Thanks to this study, it is easy to identify and express basic and appropriate needs for the preservation and enhancement of cultural heritage and thus highlight it as an effective means of development and dynamism in the social field, cultural and tourism.

Keywords: Museum, Preventive conservation, Exhibition, Storage, Museum collection.

المقدمة

نضج مفهوم التراث الثقافي خلال القرن 17 ميلادي و شهد توسع في الكلمة و المفهوم خلال القرن 18 ميلادي ، و مدلول كلمة التراث مرتبط بالفقدان و الضياع المحتمل ، وفي نفس الوقت بإرادة الحفظ و الحماية . و تعمل المؤسسات المتحفية جاهدة على أداء هذه المهام باستخدام وسائل متعددة و مختلفة و بوضع أسس و معايير في التسيير و الحماية لمراعاة بقاء هذه المخلفات الحضارية و الصهر على دوامها. يشهد علم المتاحف منذ طلوع القرن الواحد و عشرين تطورات ملموسة في تقنيات التسيير المتحفي ، و تحاول الجزائر كدولة تحتضن موارد تاريخية و حضارية هامة و معتبرة أن تساير آخر المستجدات العلمية و العالمية المعمول بها في هذا الميدان من أجل تأمين مستقبل سليم للموروث الثقافي و التمكن من توصيله إلى الأجيال الصاعدة.

و في هذا السياق أنصب اهتمامنا بدراسة المؤسسة المتحفية و ذلك بمختلف مضامينها و تشعباتها ، و عليه قمنا بإدراج الموضوع المعنون أعلاه ضمن هذا المقال ، و حاولنا بواسطته استعراض و إبراز أهمية و دور الدراسة العلمية لهذه المؤسسة الثقافية و التي تكمن عموما في ميدان الحفظ الوقائي. كما تمّ اعتناؤنا بهذا المحور من البحث ، لكون المتاحف أهم الواجهات الثقافية للوطن ، و هي تعتبر من المؤسسات الحاضنة للتاريخ و الذاكرة الجماعية و ممثلة للهوية الوطنية ، و تحتضن شواهد أثرية ذات قيمة معتبرة تدل على تعاقب الحضارات. و يتطلب هذا الجوهر المتحفى الاعتناء و الاكترتات للتواصل الحضاري ، و من سبل الاهتمام بهذا الجوهر المتحفى هو وضع "استراتيجية للتسيير المتحفى" و هذا الأخير بمفهومه العام سلوك يجب تبنّيه و الاعتماد عليه و مداومته في الأعمال اليومية.

الهدف من هذه الدراسة المتحفية هو إثراء مجال الحفظ الوقائي في المتاحف الذي يُعدّ من المتطلبات الأساسية لتوفير شروط الحفظ الملائمة للموروث الثقافي. فتنظرنا في هذا الميدان إلى المواضيع التي تتكامل مع سلك الدراسة المتحفية و الحفظ الوقائي و نذكر منها : العوامل المحيطية أو البيئية التي تعتبر من الأسباب الرئيسية في تدهور المقتنيات الثقافية ، إلى جانب شروط الحفظ المعمول بها في التخزين و العرض و المواد المستعملة في تسيير المجموعات و حالة الحفظ و غيره.

يجادل الأخصائيون في الأمور المتحفية يوميا لمواجهة مشكلة التدهور و التلف الذي تعاني منه مختلف التحف عامة و الحساسية منها خاصة. و هذا الأمر واقعي و منتشر في أوساط المتاحف الجزائرية و هذا ما يحث على مواصلة البحث و الاجتهاد لتحدي و مواجهة هذه الوضعية المزرية. و قد يتم ذلك بالاستعانة بالدراسات العلمية الحديثة لإثبات استقرارية حالة حفظ المجموعات المتحفية.

I – أولا: متحف زبانا :

أول تعليمات لتسيير و الحفاظ على التراث الأثري بالجزائر ظهرت أثناء الفترة الاستعمارية الفرنسية ، حيث بدأت عملية جمع اللقى الأثرية و الحفاظ عليها بطريقة فعلية في القرن التاسع عشر ميلادي. ثم نضجت فكرة أول متحف كمؤسسة تراثية في شمال افريقيا موقعها الجزائر العاصمة خلال سنة 1838. فصدر إثر ذلك أول قانون جزائري يخص التراث الثقافي التاريخي و الطبيعي في فترة ما بعد الاستقلال في عام 1967 بمرسوم 281-67 (Michalowski ، 1966) و بقي سائر المفعول إلى غاية 1998 حيث صدر قانون 04/98 لحماية التراث بمفهومه الشامل ، حيث ادمجت إليه عدة أبعاد حية تمس كل من الحرف و الصناعات التقليدية و هي مبادرة نجمت عن إرادة سياسية من أجل المحافظة على الهوية الوطنية .

نشأت فكرة المتحف بمدينة وهران في نهاية القرن 19 ميلادي من طرف علماء مؤسسة الجغرافيا و الآثار بمنطقة وهران و منهم القائد العسكري 'دمق' الذي أضاف كلمة آثار في تسمية هذه المؤسسة (Benkada ، 1999). و أصبح المتحف وطنيا بمقتضى مرسوم رقم 86-135 .

و في انتظار تحقيق فكرة تشييد المتحف ، أستعمل في بادئ الأمر و مؤقتا مبنى قديم كان يحتضن المستشفى المدني آنذاك . هيا هذا الأخير للافتتاح في سنة 1885 (Demaeght ، 1894) و تم ذلك بفضل هبة من بعض الأشخاص المهتمين بالتراث الثقافي ، و كان محتوى المجموعات ينقسم إلى ستة أقسام : المسكوكات ، آثار الفترة القديمة ، العلوم الطبيعية ، ما قبل التاريخ و الإثنوغرافيا ، تاريخ الجزائر و الفنون الجميلة.

كان المتحف في تلك الأنية تابعا إداريا لبلدية وهران و سمي "المتحف البلدي لوهران" و إدارته موالية لمؤسسة الجغرافيا و الآثار. عيّن القائد 'دمق' محافظا للمتحف ، بعد وفاته حمل المتحف اسمه اعترافا له و للخدمات التي قدمها للحفاظ على التراث الثقافي الوطني. و ضلت التحف في انتقال مستمر من مبنى لآخر لعدة مرات ، مما أدى لتدهور حالة حفظ العديد من التحف و الضياع الكلي للبعض منها.

تمّ إنشاء و تحضير مخطط مبنى 'قصر الفنون الجميلة' في سنة 1916 و هو يحتضن عدة منشآت منها المتحف ، لم يتحقق المشروع إلا في فترة 1931/1923 (Demaeght ، 1894).

دشن المبنى في خلال عام 1935 تحت تسمية "متحف ديمق" و كانت إدارته تابعة للبلدية ، و قام بإدارة المتحف في بداية نشأته السيد (R.Tinthoin) دكتور في الآداب و أمين للأرشيف بمنطقة وهران. في أثناء الستينات و بداية السبعينات أصبح المتحف تابعا لوزارة التربية ، مديرية الشؤون الثقافية و تحت إدارة الفنون الجميلة ، و هذا راجع لكونه جزء من قصر الفنون الجميلة. تمت إدارته في تلك الأونة من طرف (Masson Robert) من خرجي العلوم الطبيعية ، و عيّن بعد ذلك في تسيير المتحف شخصيات جزائرية . أصبح للمتحف صبغة وطنية و أعطيت له تسمية " أحمد زبانا" في عام 1986 ، و هو حينها تحت وصاية وزارة الثقافة وفق النصوص التشريعية الجديدة. أجريت بعض التعديلات في النظام الأساسي المتحفى سنة 2011 ، و منها أضيفت كلمة "عمومي" و صارت التسمية الجديدة "المتحف الوطني العمومي زبانا".

1. مبنى المتحف:

ينتمي مبنى المتحف إلى مركب ثقافي ذو عدة أطباق و ملحقات منها : مدرسة الفنون الجميلة و مكتبة و متحف. المساحة الأصلية و الكلية التي خصصت للمركب هي خمسة آلاف متر مربع و هي مثلثة الشكل. الواجهة الأمامية للمتحف تمتد على طول مئة و عشر امتار و هي تطل على الشارع الأساسي بوسط مدينة وهران ، أما عرضها فيصل 25 متر (Mercier ، 1931). يحاط المبنى بأكثر من 212 نافذة ، يتم توزيع المساحات كالآتي ، مدخل واسع ثماني الأضلاع إلى جانب قاعة خاصة بمتحف المجاهد . ثم الطابق السفلي حيث خصص جانبا به لتحف فترة ما قبل التاريخ ، و من الجانب الآخر معروضات العلوم الطبيعية و الحيوانية ، و يتوسط هذان الجانبان قاعة الفترة القديمة الرومانية. أما الطابق الأول ، فجدج به قاعة الفنون الجميلة ، وأخيرا الطابق الثاني ، و هو يحتوي على مجموعات الفنون الإسلامية و الإثنوغرافيا الإفريقية و المغاربية و جناح آخر تعرض فيه مجموعة العلوم الطبيعية.

شهد مبنى المتحف عدة أشغال في التصليح و الصيانة في عامي 2001/2002 و أخرى في 2004. يتخلل أوساط قاعات العرض عدة مساحات تشغلها مكاتب متعددة للإدارة العامة و مكاتب المديرية ، أما مكاتب الأطر فهي موجودة في مبنى جديد هيا في سنة 2006 في إحدى الساحات الداخلية للمتحف.

أما من الجانب الأمني ، المتحف مجهز بأهم المعدات الأمنية ، من حراس و أجهزة المراقبة و كذا عتاد لمكافحة الحريق لكن معظم التجهيزات قديمة و أصبحت غير فعّالة. ما يصح الإشارة إليه كذلك أن المطفات تساعد في إخماد الحريق الصغير و المحدد و قد تصبح بدون أي فعالية إن أصبح الحريق هام و انتشر في المبنى . كما يستوجب التكوين و التدريب لمعرفة استخدام المطفات المختلفة من غاز أو ماء أو مسحوق ، فلكل واحدة وخصائصها و بالرغم من توفر أجهزة إطفاء الحريق غير أن توزيعها غير منتظم عبر مختلف فضاءات المتحف.

II - ثانياً: دراسة المجموعات المتحفية :

متحف زبانا متعدد الاختصاصات و إدارة كل المجموعات يتطلب توفر مختصين في عدة ميادين في مجال الآثار و العلوم الطبيعية و الفنون الجميلة. ما يجدر الإشارة إليه أن جميع الإحصائيات لهذا المقال ترجع لعام 2016.

1 . الجرد والترقيم :

تتواصل عملية الجرد و تصحيحه على كل المجموعات ، و صعوبة هذه العملية تكمن في المجموعات التي ليس لها مختص مثل مجموعة ما قبل التاريخ و مجموعة العلوم الطبيعية و تعتبر هاتين الأخيرتين من أكبر المجموعات في المتحف. أما فيما يخص البطاقات التقنية فهي بصدد الإنجاز و لن تنتهي حتى يتم جرد كل التحف. تستعمل في عملية الجرد نوعين من البطاقات ، الأولى للمجموعات الأثرية و الإثنوغرافيا و الثانية للفنون الجميلة ، و نفس الأمر بالنسبة لعملية النقل على السجلات الخاصة للمجموعات و السجل العام للممتلكات الثقافية.

تتم عملية الترقيم على التحف حسب المواد المكونة للتحف ، فالبعض يرقم بالحبر مثل التحف من الحجارة و أخرى بالورق اللاصق مثل الفخار و الخزف.

كما نستغل هذا المجال لتفصيل هذا الجانب من الدراسة من أجل تحديد طريقة الترقيم مع العلم أنها تقريبا نفسها في مختلف المتاحف ، و هي تجسد من طرف ملحقى البحث بالمتحف مع متابعة المحافظ لمراعاة حساسية المواد المكونة للتحف مع اجتناب أي تفاعل بين المواد المستعملة و التحف. كما سجلنا من طرق الترقيم التي اجريت على التحف استعمال سواء الطلاء على التحف الحجرية و الورق العادي أو اللاصق على معظم التحف و حتى على الحجارة . و هذا ما يجب تجنبه في التعامل مع الموروث الثقافي لأن المواد المستخدمة تعتبر مواد غير رجعية و متلفة مثل الصمغ.

و عليه تختار لعملية الترقيم على التحف مواد مستقرة و طويلة الأمد و مقاومة كما من الأفضل أن تكون المادة المستعملة للترقيم غير مرئية و سهلة النزاع.

يقوم الترقيم مباشرة على التحفة ، إلا إذا كانت التحفة هشة أو في حالة حفظ سيئة في حين يوضع رقم الجرد على مواد التهيئة كالعلب أو الكيس. كما أنه من المستحسن أن يقدر حجم التحفة عند الترقيم. و إذا كانت المادة غير ملساء خشنة أو مسامية من الأفضل استعمال الورنيش الاكريليك قبل تسجيل رقم الجرد و من الأحسن أيضا أن يتم الترقيم في نفس المكان للمجموعة حتى نفاذ كثيرة معاملة التحفة.

أما إذا كانت التحفة من عدة مواد ، نختار المادة التي لها أكثر قابلية للترقيم (Ravaux ; Dubus ، 2008). بالرغم من أن المواد المستعملة في الترقيم ليست عالمية و إنما كل حالة لها حلّ و سطوي و شروط فيما يخص القراءة و الوضوح و الديمومة و الرجعية مع عدم المسّ بسلامة التحفة. و بهذا استخرجت المواد التالية للترقيم:

- الحبر الصيني بدون ورنيش (B72) و طلاء الأكريليك على الخشب (السنديان).
 - طلاء الأكريليك و لاصقات على الزجاج.
 - الحبر الصيني بدون ورنيش و يستعمل على طبقة من الورنيش أو طلاء الأكريليك على الكتان.
 - الحبر الصيني على طبقة من الورنيش و لاصقات من الورق الدائم الخالي من الحموضة و بصمغ رجعي على الرخام.
 - طلاء الأكريليك و قلم حبر اسود على قطع الخزف و الزليج (نفسه ، 2008) عادة ما يتم الترقيم في الأسفل من الجهة الخلفية للتحفة مثل التحف الخشبية و اللوحات الفنية ، فيما يخص الكتب فهي ترقيم بداخل صفحة الغلاف و وثائق الرسم في الركن الأسفل باستعمال قلم الرصاص من نوع (HB) أو حبر دهني.
- كما ينصح المختصين في اجتناب استعمال اللاصقات على الآلات الموسيقية لأنها تترك طبقة مشوهة على الآلة ، إلا أنه يمكن ترقيمها بالحبر الصيني بين طبقتين من الصمغ .
- تظهر مشاكل الأكسدة على تحفة من الرصاص أو النحاس إذا رقت هذه الأخيرة بواسطة لاصقات ، لذا يكون التأشير بحبر الصين أو طلاء الأكريليك بين طبقتين من الورنيش مثل الترقيم على الحجر . أيضا ينوه المختصين إلى استخدام الحبر الأحمر على كل من الحجارة و الرخام و الفخار لأنه غالبا ما يكون غير رجعي (Ravaux ; Dubus ، 2008).
- ترقم إذن كل من العظام و الصدف و الجلد و السلالة سواء بحبر الصين أو ببطاقة صغيرة من الورق الخالي من الحموضة أو ذات طاقة هيدروجين حيادية و أخيرا الأنسجة تؤشر بقطعة قماش من القطن الأبيض المغسول و مكتوب بحبر دائم (نفسه ، 2008).
- و لا زالت الدراسة متواصلة في ميدان الترقيم ق صد الوصول إلى بروتوكول مناسب للترقيم على اللقى الأثرية وذلك باستعمال المواد المناسبة كالحبر الصيني أو الورق اللاصق الخاص من مختلف الأنواع. و الأهم في هذه الدراسة هو الوصول أو النجاح في تحقيق عملية ترقيم بسيطة التطبيق و أن تكون ناجعة على المدى البعيد ، و هكذا تكون المواد المستعملة ذات رجعية و يمكن نزعها بسهولة دون تلف للتحفة (Alami-Viguié ، 2015).

2 . المجموعات المتحفية:

أعيد تقسيم المجموعات و تنظيمها من جديد إلى سبعة أقسام خلال سنة 2013. فألغيت مثلا مجموعة الفنون و التقاليد الشعبية ومجموعة تاريخ وهران و ضمت تحفها إلى مجموعة الآثار الإسلامية كما أحدثت تغييرات على مستوى مجموعات العلوم الطبيعية.

ما قبل التاريخ: يحتوي هذا القسم على بقايا أثرية لزمان الباليوليتيك و النيوليتيك و فجر التاريخ، تتمثل التحف في صناعات حجرية مختلفة ، تعود لرجل الأطلس و الحضارة الموسستيرية و العاترية. أما فترة النيوليتيك ، فهي تتمثل في صناعات متعددة ، كالأسلحة و الفخار و الحلي و غيره.

الآثار القديمة: تضم عدة مجموعات و تحف مختلفة ترجع خاصة للفترة الرومانية نذكر منها ، عناصر معمارية و فسيفساء و فخاريات و خزف و زجاجيات و حلي.

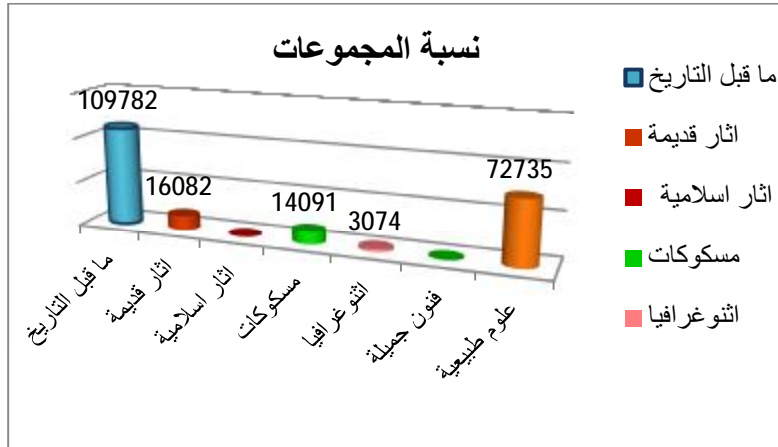
الآثار الإسلامية: يجمع هذا القسم مقتنيات أثرية تعود للقرون ما بين 18 م و 20 م منها عناصر معمارية من الحجارة إلى جانب المسكوكات و الألبسة ، بالإضافة إلى أسلحة و فخار و خزف.

الإثنوغرافيا: يجبي هذا القسم كل من المجموعات المغاربية و الافريقية ، تتكون من الفخار و الخزف و الأسلحة ، و أخرى من النحاس و الخشب و الأنسجة و الجلود و السلالة و الحلي.

المسكوكات: تحتضن هذه المجموعات قطع تنتمي إلى كل من الفترة النومدية و البونية و الرومانية والبيزنطية و الفترة الإسلامية ، بالإضافة إلى عملة ترجع للفترة المعاصرة . نسجل منها قطع من الذهب و الفضة و أخرى من البرونز و النحاس.

العلوم الطبيعية: تحتوي على عدة تخصصات، الجيولوجيا و الباليونتولوجيا و الزولوجيا و علوم النبات . تجمع هذه الأخيرة قطع من المعدن الخام و رخويات و عظام. أما الحيوانات فنجدها محفوظة في سائل الفورمول أو مغلقة في جلد او محنطة.

الفنون الجميلة: تحتضن لوحات زيتية و مائية مختلفة ، بالإضافة إلى تحف منقوشة من البرونز. ونقدم من خلال هذا المخطط عدد المجموعات المتحصل عليها أثناء فترة البحث.



مخطط بياني 1 : نسبة المجموعات في متحف زبانا

أعيدت مؤخرا مراجعة عملية الجرد مع تصنيف جديد للمجموعات ، حيث جمعت مجموعة الجيولوجيا و باليونتولوجيا مع العلوم الطبيعية. كما ضمت المجموعات الأجنبية إلى المجموعات الجزائرية بالنسبة للإثنوغرافيا و المسكوكات.

3 . خصائص المجموعات:

يعتبر متحف "زبانا" متحفا متعدد التخصصات و هذا راجع لغناء المجموعات التي يحتضنها و تنوعها الأثرية لمختلف الحقب الزمنية و الفنية المختلفة الاتجاهات و منها الوطنية و الأجنبية.

أ . مجموعات ما قبل التاريخ :

تمثل نسبة 52% من المجموع الكلي. تحتوي على مقتنيات لمختلف الفترات لما قبل التاريخ و تتمثل في الصناعات الحجرية المتعددة . تتخلل هذه المقتنيات بعض القطع ذات المواد المركبة التكوينية مثل العظام و الصدف و تبقى نسبتهم ضئيلة بالنسبة للمجموعة. معظم التحف متوسطة أو صغيرة الحجم و بعض التحف كبيرة الحجم مثل الجمجم الحيوانية.

ب . الآثار القديمة :

تشكل نسبة 8% من المجموع المتحفي و هي مجموعة كبيرة العدد تتضمن تحف مختلفة جلتها ترجع للفترة اليونانية و الرومانية ، منها كتابات حجرية و فسيفساء و عناصر معمارية و الحلي و الزجاجيات و البرونز و قطع عظمية . أكبر التحف تتمثل في العناصر المعمارية و الفسيفساء و أصغرها مسامير من البرونز و شظايا من الزجاج. أهم التحف عددا هي مجموعة الخزف و الفخار بنسبة 9% ، ثم الكتابات بنسبة 2.5%. أما باقي المجموعات فلا تتجاوز نسبتها 1% من المجموع مثل المعادن ، الحلي ، زجاج ، فسيفساء. تضم هذه المجموعات ، جزئيات من الفخار بنسبة 83% من المجموع .

ت . الآثار الإسلامية:

تمثل هذه المجموعة عدد ضئيل بالنسبة للمجموع الكلي ، و هي تعود إلى فترة ما بين القرنين 12 و 20 ميلادي. يتكون هذا القسم من عدة مجموعات أكبرهن عددا هي مجموعة العناصر المعمارية و مجموعة الأسلحة و هي ترجع إلى القرنين 18 و 19 ميلادي. أكثر من 50% منها تتكون من مواد مركبة. أما فيما يخص الكتابات الحجرية منها التركية و أخرى إسبانية و عربية مزودة بزخارف هندسية أو نباتية ، مثل كتابة للقرن 18 ميلادي يحيي ذكرى بناء محل في عام 1720 من طرف الباي مصطفى بن يوسف ، و كتابة أخرى تحيي تشييد المسجد باشا في عام 1796 بأمر من الداوي حسان باشا. وأخيرا نذكر المجموعات الضئيلة العدد كالألبسة و المطرزات والخشب. كما يحتوي فرع الآثار الإسلامية قطع هامة من الزليج الذي يعتبر عنصر معماري و زخرفي في نفس الوقت فيتجاوز عدده 60% من الآثار الإسلامية و خاصة أن رقم جرد الواحد قد يضم عدة وحدات. تتمثل أكبر التحف في مصباح للإنارة و أصغرها في قطع من الخشب و الفخار و الخزف.

ث . مجموعة المسكوكات :

تمثل هذه المجموعة نسبة 4% من العدد الكلي للمجموعات المتحفية ، منها ما هي موثقة و اخرى لم تدرس بعد. يضم هذا القسم مجموعات لمختلف الحقب الزمنية منها الفترة القديمة ، قطع من البرونز و الفضة

وأخرى من خليط من المعدن. أكبرها عددا هي العملة الرومانية إضافة إلى بعض القطع النومدية و البيزنطية و الإغريقية. أما عن مسكوكات الفترة الإسلامية فإن معظمها من الذهب والفضة و يعود تاريخها ما بين القرنين 11 و 18 الميلادي ، و عملية الجرد عليها غير تامة. أكبر مجموعة تكمن في النقود العثمانية حيث تمثل حوالي 77%. زيادة إلى المجموعات المذكورة ، يحفظ المتحف مجموعات من النقود المعاصرة الأجنبية ، أهمها العملة الأوربية و أخرى أمريكية إلى جانب عملات أسيوية و إفريقية ، و ترجع معظمها إلى ما بين القرنين السابع عشر و العشرين.

ج . مجموعة العلوم الطبيعية :

تمثل مجموعة العلوم الطبيعية 34% من العدد الإجمالي للمجموعات المتحفية ، و هي ليست مدروسة كليا و لن يتم الجرد و التوثيق على كل المجموعات. تنقسم هذه الأخيرة إلى علم الحيوانات و علم النباتات و الباليونتولوجيا. كما تضم هذه المجموعات ، ثلاث أقسام : الفقاريات و اللاقاريات و النباتات. خاصية هذه البقايا أنها تابعة لعلوم الباليونتولوجيا و هي تدرس أيضا من جانب الجيولوجيا، لكونها حفظت في مختلف الطبقات الرسوبية. أما المجموعات الزيلولوجيا فمنها الخاصة بالحيوانات المحنطة و الأخرى بعظام الحيوانات الفقارية مثل: الطيور و الثدييات و هي أكبرهم عددا. إلى جانب اللاقاريات التي تتمثل في القشريات و أنواع عديدة للحشرات ، و حيوانات بحرية كالمرجان و الرخويات الاسفنج. و أخيرا قسم للنباتات كحبوب و الثمار.

د . مجموعة الإثنوغرافيا :

تصل نسبة هذه المجموعة 2% من المجموعات المتحفية. و يضم هذا القسم العديد من المنتجات التقليدية التي تنول للمغرب الأقصى و تونس و مجموعات أخرى أجنبية كإفريقيا ، نذكر منها : تحف من الأسلحة المختلفة و الفخار و الأنسجة و الأثاث المنزلي. إضافة إلى تحف من الجلد و بعض الأدوات و الأواني من السلالة. تعد التحف الخشبية أكبر حجما مثل باب يرجع للفترة العثمانية و صناديق خشبية متعددة.

المجموعة المغاربية : يحتضن هذا القسم 18 مجموعة ، عدد التحف لكل مجموعة يتراوح ما بين العشرة و العشرين. أكبر مجموعة تتمثل في الخزف ثم تليها مجموعة الأسلحة و أغلب التحف من مواد مركبة. المجموعات التي لا يتجاوز عددها العشرين ، الآلات الموسيقية و الأثاث و السلالة و المطرزات و الأحذية و الخشب.

المجموعة الإفريقية و الأجنبية : تتكون من 17 مجموعة ، أكبرها عددا هي مجموعة الأسلحة و يليها مجموعة الأواني و الألبسة و الحلبي بالإضافة إلى باقي المجموعات التي عددها دون العشرين مثل آلات الموسيقى و تحف تزيينية و أخرى خاصة بالديانة.

ح . مجموعة الفنون الجميلة :

هي مجموعة ضئيلة بالنسبة للمجموع المتحفية لكن تضم لوحات ذات شهرة عالمية لمدارس أوربية ، منها الفرنسية و الهولندية ترجع للقرن السابع عشر ميلادي مثل الفنان الهولندي (David Teniers) و الفنانين الفرنسيين (Georges de la Tour) و (Jean Michelin) . إضافة إلى اللوحات الفنية للفنانين الفرنسيين و الجزائريين للقرن 19 ميلادي و نذكر منهم : "اتيان ديني " و "فرومونتتا" إلى جانب الجزائريين منهم أزواو معاصري راند الفن العصري و الفنان محمد خدا و محمد إسياخم و فاطمة حداد. كما يحتفظ المتحف ببعض التماثيل من البرونز و الجص لفنانين النحت، منهم: (Rodin Poinçon ; Martinez; Bourdelle) . تحتضن مجموعة الفنون الجميلة 68 تماثل و 584 لوحة فنية و عدة تحف كبيرة الحجم.

تمثل هذه المجموعة 60 قطعة هي عبارة عن نسخ و باقي تحف المجموعة هي لوحات فنية.

4 توزيع التحف:

نتطرق في هذا الصدد إلى دراسة المجموعات من حيث توزيعها على مستوى المتحف .

أ . العرض : تتخلل مساحات العرض أوساط المبنى و تتوزع على ثلاث طوابق كالتالي :

- الطابق السفلي : تعرض به مختلف التحف لكل المجموعات ، ما قبل التاريخ و العلوم الطبيعية و الفن الإسلامي إلى جانب الآثار القديمة.

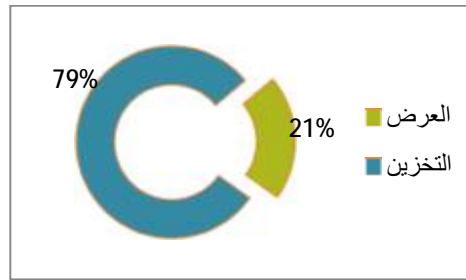
- الطابق الأرضي : على مستوى المدخل ، به قاعة للفنون الجميلة و قاعة خاصة بمتحف المجاهد.

- الطابق الأول : قاعة الإثنوغرافيا إلى جانب العلوم الطبيعية و المسكوكات.

أغلب وسائل العرض المستخدمة ترجع إلى فترة الفرنسية ، وهي عبارة عن خزانات من الخشب تمثل الواجهات و المخازن في نفس الوقت. بالنسبة لمجموعات العلوم الطبيعية فهي متواجدة في نفس الفضاء سواء كانت مخزونة أو معروضة. كما أضيفت بعض الواجهات من الخشب المكمل في قاعة الفنون الإسلامية و الإثنوغرافيا.

تقدر مساحة العرض الإجمالية بحوالي 2383 م²

ب. التخزين : نسجل نوعين ، الأول يكمن في قاعات العرض و الثاني في فضاء خصص لذلك الغرض. فأغلب التحف الصغيرة الحجم نجدها في الخزانات و الأدرج المتواجدة في أسفل الواجهات المتواجدة على مستوى قاعات العرض ، و هذا يخص معظم المجموعات. فهيئت بعض المساحات في المتحف من أجل احتضان المجموعات المختلفة ، و بهذا أعدت أربع فضاءات في أوساط المبنى لتصبح عبارة عن مخازن للتحف . اثنان منها بداخل مبنى المتحف و اثنان خارج المبنى على مستوى ساحة المتحف ، أضيف هذين المخزنين خلال أشغال توسيع المتحف في سنة 2006 . إلى جانب مخزن قسم الفنون الجميلة ، و هو في الأصل موقع اتصال بين مبنى المتحف و مدرسة الفنون الجميلة ، حيث نلاحظ وجود نافذتين و باب مغلق . نظم هذا الفضاء بعتاد من الشبكات المعدني لاستقبال اللوحات الفنية. كما نلاحظ على الأرضية العديد من التحف منها لوحات و تماثيل نصفية. تبلغ مساحة التخزين بالمتحف 112 م².



مخطط بياني 2 : نسبة العرض و التخزين

النسبة الإجمالية للتحف المخزونة تقدر ب 79 % و ما يمكن ملاحظته أن :
- أكبر نسبة في التخزين هي مجموعات الآثار القديمة و ما قبل التاريخ.
- أكبر نسبة من التحف المعروضة هي من مجموعات العلوم الطبيعية.
بالرغم من أن نسبة العرض ضئيلة لكنها تمثل عددا كبيرا من التحف و القاعات مكتظة بالمعروضات ، و هذه الأخيرة لم تتغير منذ وقت طويل و بعض القاعات لم تعدل أو لم تجدد منذ تشييدها في بداية القرن العشرين بالخصوص قاعة العلوم الطبيعية و قاعة ما قبل التاريخ .

5. تركيبة المجموعات :

نجد تحف مكوّنة من مواد عضوية في كل من المجموعات التالية :
- الإثنوغرافيا ، مثل الأنسجة و الخشب و الجلد و السلالة
- العلوم الطبيعية ، نماذج من الحشرات المجففة و الطيور و الحيوانات المحنطة
- الآثار الإسلامية ، تحف من الأنسجة و الخشب ، نعدّ بها نسبة 16% من المواد العضوية.
- الفنون الجميلة ، اللوحات الفنية على القماش أو على الورق.
كما نحصى تحف من مواد لا عضوية في كل من مجموعات ، المسكوكات ، ما قبل التاريخ ، و الآثار القديمة . بالإضافة إلى عدد من التحف من مواد مركبة في المجموعات الإثنوغرافيا.
نسبة المواد العضوية 21 % تعتبر ضئيلة لكنها هامة ، و هي تتعلق عموما بقسم الإثنوغرافيا و العلوم الطبيعية مثل الحشرات و الحيوانات المحنطة.

III حالة الحفظ :

بعد دراسة المجموعات أجببت المعلومات الخاصة بحالة الحفظ و نظرحها في ما يلي:

- مجموعة ما قبل التاريخ :
لم تقم على تحف فترة ما قبل التاريخ عملية تسجيل حالة الحفظ ، وهذا راجع لعدم وجود مختص في هذه الفترة . و غياب هذا النوع من المعلومات يعتبر نقصا هام في حسن تسيير المجموعة و خاصة من جانب التوثيق و الحفظ . ما سجلناه خلال البحث و يمكننا الإشارة إليه أن تقريبا 90 % من المجموعة متكونة من صناعة حجرية و بذلك فهي لا تتأثر كثيرا بالمحيط البيئي و تعتبر في حالة حفظ حسنة. إلا أن باقي التحف فهي من مادة مركبة و تعتبر حساسة و تسجل حالة حفظها بين المتوسطة و السيئة.
- مجموعات الآثار القديمة :

بعد جمع المعطيات نلاحظ أن معظم التحف لهذا القسم في حالة حفظ سيئة و قد قدرت النسبة بحوالي 92% و عدد ضئيل منها ما يقارب 4% في حالة حفظ حسنة . كما نقلنا أن كل مجموعة تتفاوت نسبة 50% من الضرر مثل

- الفسيفساء : سبع قطع في حالة حفظ سيئة من مجموع عشرة.
- عناصر منحوتة : أغلب القطع في حالة حفظ سيئة 40 قطعة عن مجموع 54.
- الحلي : أغلب التحف في حالة حفظ سيئة 91 قطعة و 47 قطعة منها في حالة متوسطة.

تكنم النسبة العالية لحالة الحفظ السيئة لمجموعة الآثار القديمة في الجزينات الفخارية حيث تصل إلى ما يقارب 84% .

- مجموعات الآثار الإسلامية :
ما يمكن تسجيله أن هذا القسم يمثل نسبة حوالي 53% في حالة حفظ حسنة و نسبة 28% في حالة حفظ سيئة و من هذه بعض الأمثلة للمجموعات أكثر عرضة للتلف :
 - مجموعة الأسلحة : المجموعة حساسة لأن أكثر من 50% منها هي من مواد مركبة.
 - مجموعة الألبسة : نعد سبع تحف من 17 في حالة سيئة. مجموعة حساسة من مواد عضوية.
 - مجموعة الخشب : تتكون المجموعة من أربع تحف و هي في حالة سيئة.
- تمثل حالة الحفظ السيئة أكبر نسبة و أهم عدد في مجموعات الآثار القديمة. أما المجموعات الإسلامية فحالة الحفظ المتوسطة مرتفعة و تعادل نسبة حالة حفظ الحسنة.

مجموعة المسكوكات :
حالة حفظ هذه المجموعة لها علاقة وطيدة بالمادة المعدنية ، لذلك نجد القطع النقدية من المعدن الخالص في حالة حفظ حسنة و الأخرى من خليط معدني قد يظهر عليها تدهور متوسط أو هام مما يهدد سلامة التحفة. فمسكوكات الفترة القديمة أغلبها في حالة حفظ سيئة ، و المسكوكات الإسلامية فمعظمها ما بين حالة حسنة و متوسطة.

نسجل نسبة 52% ، التي تمثل أكثر من نصف المجموعات في حالة حفظ غير مستقرة تتوزع بين حالة متوسطة و حالة سيئة . العديد من القطع النقدية لم تسجل حالة حفظها ، والبعض منها غير موثقة بسبب حالة حفظها السيئة و صعوبة قراءتها.

مجموعات العلوم الطبيعية :
فيما يخص علم الجيولوجيا فعملية الجرد لمنتهمي وهي في تواصل مع التصحيح و التعرف على القطع. أما قسم الباليوتولوجيا الحيوانية و علم المعادن و الباليوبوتانيك ، معظم القطع في حالة حفظ حسنة. الجرد بمجموعات علم الزبولوجيا كمي و غير تام و الحوصلة أن كل المجموعات للفقرات في حالة حفظ متوسطة ، أما اللافقرات ، فمعظمها في حالة حفظ حسنة و عدد هام منها في حالة حفظ متوسطة. يعد مجموع الحشرات ، حوالي 24% موثقة و ما يقارب نسبة 76% غير موثقة و بدون أي إشارة. و أخيرا الحيوانات المحنطة ، فأغلبها في حالة حفظ حسنة.

بالنسبة لمجموعات الزبولوجيا حالة الحفظ تكمن بين متوسطة أو سيئة و هذا مقارنة بمجموعات الجيولوجيا التي أغلبها في حالة حسنة و نسبة جد ضئيلة منها في حالة حفظ سيئة.

مجموعات الإثنوغرافيا :
عند إقامة عملية الفحص لحالة حفظ هذه المجموعات أدمجت البعض منها لقلّة عددها و ضمت إلى مجموعة أخرى من نفس الصنف مثل الفخار و الخزف.

- المجموعات المغاربية : أغلب التحف في حالة حفظ حسنة مثل الاسلحة و الألبسة و الخزف .
 - المجموعات الإفريقية : معظم التحف في حالة حفظ متوسطة مثل الحلي و الأسلحة و التماثيل.
- نلاحظ أن مجموعة الإثنوغرافيا الإفريقية أكثر ضررا بالنسبة لحالة الحفظ مقارنة بمجموعة الإثنوغرافيا المغاربية التي نسب حالة الحفظ الحسنة جد مرتفعة.

مجموعة الفنون الجميلة :
أغلبية التحف الفنية في حالة حفظ حسنة و نحصي نسبة 28% منها في حالة حفظ متوسطة إلى جانب نسبة 7% في حالة حفظ سيئة.

التحليل و التقييم

I . المتحف :

بني أثناء الفترة الفرنسية خصيصا لاحتضان المجموعات الأثرية و الفنية التي جبيت منذ نهاية القرن التاسع عشر ميلادي. صمم المبنى بفتحات أفقية من أجل إضاءة طبيعية وفق التصاميم التي كانت شائعة في تلك الفترة و التي كانت تأخذ بعين الاعتبار المظهر الخارجي فكان الهدف الأول للمهندس المعماري هو تشييد معلم تذكاري مع توزيع المساحات حول مساحة مركزية مع تخطيط فضاء ذو انارة أفقية. (Hauteceour ، 1993).

يقع المتحف في موقع حضري على طريق رئيسي ، يحيط بالمبنى خمسة عشرة نافذة تسمح بتسرب الغبار و التلوث الغازي ، لأنها غالبا ما تكون مفتوحة من أجل التهوية. يعاني المبنى من تسرب المياه و هذا ظاهر على بعض الجدران بالخصوص في الطابق السفلي حيث يظهر تعفن و طفيليات على الجدران بالإضافة إلى مرور أنابيب صرف المياه تحت قاعة العرض و هذا قد يؤدي الى خطر محتمل للفيضان ، و هذا ما حدث في السابق. كما نسجل تدهور الشبكة الكهربائية على مستوى القاعات.

بالرغم من أن المبنى صمم ليكون متحفا ، فلقد عرف عدّة أشغال خاصة في الصيانة و التهيئة ، ذكرت البعض منها في تقرير لسنة 1966 حيث أشير فيه ضرورة تجديد المبنى و إعادة تنظيم الفضاءات (Michalowski ، 1966).

مساحة العرض على مستوى الطابق السفلي تتجاوز 1507 م² ، استثناء للفضاء الصغير الخاص بالفترة الإسلامية. أما مساحة العرض في الطابق الأرضي و الخاصة بالفنون الإسلامية 477 م² ، لم تؤخذ بعين الاعتبار قاعة المجاهد لأنها غير تابعة بإدارة المتحف. تقدر مساحة المكرسة للعرض على مستوى الطابق الأول 399 م². ما يمكن اضافته فيما يخص توزيع المساحات هو توفر مكاتب حديثة المنشأ في مساحة خاصة بمرور الزوار أي ضمن مسار الزيارة المتحفية. و من المعروف أنه في تصميم مخطط المتاحف أن تكون مكانة الإدارة على حدى بالنسبة للعرض حتى يتفادى للموظفين المرور عبر قاعات العرض و الزوار عبر المكاتب.

II . المجموعات المتحفية :

تتميز المجموعات في هذا المتحف بتعددية الاختصاصات و هذا الأمر يتطلب اشتراك أطر في مختلف الشعب العلمية من أجل تسيير المجموعات المتحفية. و غياب هؤلاء المختصين على ساحة المتحف أدى إلى تباطؤ عملية الجرد أو انعدامها في بعض الأحيان. و هذا ما يعتبر عائقا يؤثر على حالة حفظ المجموعة لأنها غير موثقة بالإضافة إلى وجود أخطاء معتبرة في الجرد و التوثيق.

تعد مجموعة ما قبل لتاريخ و العلوم الطبيعية من أهم المجموعات كما و كيفا ، و لا يوجد مختص لإدارتها و صيانتها. تمثل مجموعة ما قبل التاريخ أكثر من نصف المجموعات المتحفية.

- 1 . العرض :

العرض في المتحف لم يتغير منذ نشأته تقريبا ، و أول تقرير حول هذه المؤسسة قدم من طرف مختص لمنظمة اليونسكو و أوضح من خلاله أهمية المتحف و طرح بعض المشاكل التي تمس المبنى و التسيير و دراسة المجموعات و عرضها (نفسه ، 1966).

مجموع قاعات العرض تقدم التحف لمختلف الفترات التاريخية و مختلف التخصصات في واجهات قديمة من الخشب ، تعود لفترة تشييد المتحف. تحتوي هذه الواجهات على خزائن في القسم السفلي لها ، تحفظ بها التحف التي تعود لاختصاص القاعة ، مثل قاعة ما قبل التاريخ و قاعة العلوم الطبيعية تعرض فيها التحف و كأنها قاعات عمل مدرسية أو جامعية لا تتجاوب و المتطلبات المتحفية في ميدان العرض.

إضافة إلى الواجهات ، نلاحظ في القاعات الأخرى عرض بدون واجهات ، مثل هياكل عظمية لحيوانات متعددة في قاعة ما قبل التاريخ و قطع الإثنوغرافيا و تحف للفترة الإسلامية ، و هذه الأخيرة حساسة و من الأفضل أن تعرض في واجهة.

- كما سجلنا استعمال طرق عرض متجاوزة
- استخدام مسامير و سلاسل من حديد لعرض هياكل الحيوانات
- لا تتوفر أية تهيئة للتحف
- الدعائم المستعملة غير لائقة سواء من ناحية المادة أو التهيئة .
- البطاقات قديمة منها ما ترجع لفترة نشأة المتحف خاصة في قاعات ما قبل التاريخ و العلوم الطبيعية.
- تحف قسم الإثنوغرافيا و العلوم الطبيعية تتلقى إنارة مرتفعة و أشعة الشمس
- استعمال ساند للتحف الإثنوغرافيا من الخشب المكثل و في حالة حفظ سيئة .

عند تشييد المبنى ادمجت فتحات جانبية في السقف لإنارة طبيعية خاصة للوحات الفنية لكن هذا التصميم يعرض بعض العيوب ، منها التغيرات في درجة الحرارة مما يؤثر في المناخ الداخلي للقاعات و كذا توزيع الإنارة يكون

غير متساوي و ينتج عنه انعكاس ضوئي إضافة إلى تراكم الغبار الذي يقلص من الإضاءة الطبيعية (Hautecoeur ، 1993).

صممت فتحات الإنارة الأفقية من طرف المهندس لهدف إصدار إنارة طبيعية منتظمة لا تتغير من ألوان التحفة الفنية. لكن هذه الإضاءة تتطلب وقاية باستعمال مرشح لهذه الفتحات للتخفيف من الإضاءة في بعض الأوقات من السنة حتى تكون الإنارة منتظمة و غير مضرة (نفسه ، 1993). إضافة إلى هذا فإن الإنارة الاصطناعية المستخدمة في القاعات غير مناسبة و نسبتها عالية. فمنها البيضاء الغنية بالإشعاع ما فوق البنفسجي ونجدها على مستوى القاعات و في بعض الواجهات كواجهة الفن الإسلامي. وتعتبر هذه الأخيرة ذات مردود أحسن من الإنارة الصفراء ، و هي تشبه الإنارة الطبيعية و لا تنبعث منها الحرارة ، لا يمكن تحديدها في الاتجاه ، لكن تستوجب استعمال المرشح. أما الإضاءة الصفراء وهاج فيمكن تحديد الاتجاه و تنظيم الإنارة ، لكن تنبعث منها الحرارة 90% منها أشعة ما تحت الأحمر ، و هي خطيرة على التحفة و تؤدي إلى تلف كيميائي (Drouguet ، Gob ، 2008).

نصف إلى عامل الإنارة الضارة للوحات الفنية ، كيفية عرض هذه الأخيرة مباشرة على الجدران و هذا الوضع يؤدي باللوحة الحساسة و الهشة إلى التلف. و يتم ذلك بإحداث شد و ضغط في نسيج التحف الفنية و انشقاق في طبقة الطلاء بسبب التغيرات في نسبة الرطوبة و الحرارة في مبنى المتحف. هذا إلى جانب التلوث و الغبار الناجم من موقع المتحف و النوافذ المفتوحة و التلويث يحدث أكسدة ، و يعم هذا التلف خاصة ما بين الجدار و اللوحة حيث يفقد الأكسجين. أما وجود الغبار فهو يساهم في استبقاء الملوثات في الغلاف الجوي (Ballard ، 2013).

و لاجتباب هذا التدهور المحتمل للوحات يتطلب أخذ احتياطات وقائي يتمثل في وضع حماية على ظهر اللوحات ، دورها هو التأثير على مفعول الرطوبة و الحرارة و خلق عازل بين التحفة و الجدار. من الوسائل المستخدمة للوقاية النسيج الطبيعي أو الاصطناعي و المواد شبه صلبة مثل الكرتون و المواد الصلبة كالخشب من نوع (isorel- Masonite) (نفسه ، 2013).

كما من الأجدر وضع للوحات الفنية التي ليست مؤطرة ، اطار خاص ملائم في نفس الوقت للعرض و النقل و التخزين ، حتى يتفادى أية معاملة خطيرة على التحفة . كما يجب التأكد من حسن نوعية العقاف المستعمل لتعليق اللوحات خاصة الثقيلة منها و حتى طريقة التعليق على الجدران فهي تتبع منهاج خاص لتجنب الوقوع المحتمل (Naud ، 2011).

زيادة على ما ذكر نختتم عملية التفقد التي أجريناها عبر أجواء العرض ، في قاعات العلوم الطبيعية، حيث سجلنا وجود مادة الكافور أو "النافثالين" (camphre de goudron) في أغلب الواجهات من أجل محاربة الحشرات. لكن هذه المادة تتحل بسهولة في الهواء و تعتبر ضارة للصحة و تنتشر بسرعة مواد مؤذية للتحف و حتى للإنسان (Dignard ، 1995). و لذا لا ينصح باستعمالها في أوساط المتحف سواء في الواجهات أو في المخازن لأنها تسبب ضرر للحيوانات المحنطة و للمواد العضوية.

2 - المخازن و التخزين :

مخازن قاعات العرض و هي تمثل الواجهات في نفس الوقت ، جلها من الخشب منها على شكل ادراج و أخرى رفوف. تتوزع هذه المخازن عبر مختلف مساحات العرض كما ذكرنا سابقا. بعض المقننات محفوظة في أكياس من البلاستيك العادي و أخرى في علب من ورق الكرتون مثل المخطوط. أغلب المساحات التي هيئت للتخزين تعتبر أماكن شاعرة ، و في الأصل هي ممر بين مختلف ملحقات المبنى ، بين المتحف و المدرسة. جهزت هذه المخازن بأدراج و رفوف و خزانات من الخشب المكتمل. أما المخزنيين الواقعين بساحة المتحف ، فالأول مهياً برفوف من الحديد و الثاني برفوف من الخشب لحفظ مجموعات الفترة القديمة ، تماثيل و قطع حجرية و فسيفساء و غيرها من التحف المختلفة. تعتبر هذه المخازن ضيقة و لا تسمح لمرور سليم لشخص لنقل التحف و خاصة إن كانت التحفة كبيرة و هشة. تحوي هذه المخازن على تحف من مواد عضوية و غير عضوية و هي مكنظة و غير منظمة ، و بها تحف مكدسة على الرفوف و أخرى موضوعة على الأرضية ، زيادة على هذا فهي غير مهياً بعناد التخزين المناسب مثل عناصر التخزين من مواد غير مناسبة للحفظ على المدى البعيد.

معظم المجموعات تحفظها مخزونة و ذلك بنسبة تتجاوز 80 % و 90 % مثل مجموعة ما قبل التاريخ و الآثار القديمة و الإسلامية و كذلك المسكوكات و الإثنوغرافيا . مما يدعي و يجبر محافظي المتحف الاهتمام أكثر بفضاء التخزين.

نلاحظ أيضا أن بعض التحف صعبة المنال بالخصوص في أوساط الفنون الجميلة ، و لا تتوفر المعلومات الكافية للتعرف على التحف مثل ترقيم الأدرج و تأشير عناصر التخزين. كما رفعنا في أجواء المخازن مواد لا تنتمي إلى المجموعات و منها مواد ضارة لحفظ التحف مثل الخشب المكثل و الكارتون و البلاستيك ، إضافة إلى المخطوط الذي يحفظ في علبة من ورق الكارتون العادي ، مادة ضارة ينبعث منها مواد حامضة مؤذية لسلامة التحفة. المحيط البيئي غير مراقب في جميع أجواء المتحف.

نحاول عرض فيما يلي نبذة عن المواد المستعملة في الأوساط المتحفية و التي يمكن التطلع عليها على مستوى مختلف البحوث التي ادرجت حول موضوع الحفظ الوقائي. ففي هذا الميدان ، يعتبر المحيط البيئي أحد العوامل الفعالة في حفظ أو في تدهور المجموعات المتحفية ، و من بين العوامل البيئية التي تؤثر على المقتنيات ، نذكر منها في هذا الصدد عامل التلوث و انتشار الغازات الضارة التي تنبعث من مختلف المواد المحيطة بالتحفة أو اللقى الأثرية. هذا الموضوع لم يؤخذ بعد بعين الاعتبار لكونه لا يزال مجهولا في أوساط المتاحف الجزائرية.

و هذا ما جعلنا نباشر في هذا الصدد لتقديم فئة من أهم هذه المواد المؤذية المتواجدة في أجواء المتاحف و نبيه بتفشي مختلف الأحماض الضارة ، كالكلور ، الأمونياك و الفرمالدييد و المذيبات و مضادات الأكسدة. معظم هذه الغازات تنبثق من المواد المشكلة للمنتجات العديدة التي تساهم في تحقيق الانجازات المختلفة في أوساط المتاحف ، كإصلاحات المبنى و تهيئة قاعات المتحف و اعداد واجهات العرض و تهيئة رفوف للتخزين. كما يتم استخدام بعض من هذه المواد الملوثة لإنشاء دعائم للعرض أو للتغليف و هذا قد يسبب تكثيف عناصر التلوث في المحيط المتحف و تأثيره على التحف وخاصة إن كان المحيط مغلقا. هذا علاوة إلى التلوث الخارجي الناجم عن الوقود و التصنيع و الورشات المتعددة و غيره (Cecily ، 2006).

إن موضوع اختيار المواد التي تستخدم في المتاحف من الأمور الأساسية من أجل حفظ وقائي سليم ، فمثلا عناصر التخزين لا يمكن أن تكون من المعدن العادي لأن هذا الأخير معرض للتآكل. كذلك استعمال الخشب المكثل الذي تنبعث منه مواد مضرّة مثل "حامض الأستيك" ، و "حامض الفورميك" لمادة الورق المقوى أو الكارتون ، فعالية المواد الضارة تكمن في المساحات المغلقة و بالخصوص الصغيرة منها حيث تتراكم الغازات المؤذية و تؤدي إلى تلف التحف ، و إن كانت المساحة كبيرة أو بها تهوية فالغازات لا تتراكم و لا ينجم عنه أي خطر للمقتنيات (Guillemard ، 1990).

و لتحاشي هذا الضرر يمكن في بادئ الأمر الاستفسار حول التركيبة الكيماوية للمنتوج المراد استخدامه و كذا طبيعة المواد المكونة للتحفة و مدى حساسيتها الفيزيائية و الكيماوية إلى جانب استقرار و سنّ المواد المستعملة. مع العلم أن كلما قدمت المادة كلما نقصت المركبات الضارة المنبعثة منها و كذا تقويم نسبة الأس الهيدروجيني للتحفة. و يعتبر هذا الجنب من الدراسة هام لأنه يساهم في اختيار المواد الملائمة و كذا تحديد منهجية التدخل (Season ، 2007). فمثلا الخشب هو من المواد الأكثر استعمالا في المتاحف و هو يمثل أكثر ضررا للمجموعات حيث تنبعث منه غازات الألدبيد ، و منها الفرمالدييد (formaldéhyde aldéhydes) و أحماض عضوية متبخرة و هي الأخطر. تقدر كمية الغازات الضارة حسب نوعية الخشب، الجزء المستعمل ، الفترة التي قطع فيها و طريقة تجفيف و الخشب الرطب أكثر إصدارا للأحماض من الخشب الجاف. الشجر الأكثر حموضة هو السرو و الكستناء و الأرز مع العلم أن الخشب المستعمل غالبا في المتاحف هو الشوح الذي يعتبر حامضا أيضا (Hatchfield ، 1986). كما نلاحظ أنه نوع واحد من الخشب من نفس الفصيلة قد يعرض درجة حموضة مختلفة و واسعة جدا ، و وفق رأي المختصين من المستحسن تقادي الخشب الذي نسبة حموضته أدنى للرقم 5 (Tétrault ، 1993).

زيادة على هذا المنتوج المصنع من الخشب مثل الخشب المكثل و الخشب الرقائقي و ألياف الخشب ذات كثافة متوسطة (MDF) كلها مركبة بواسطة الغراء و الراتنجات المتعددة التي تحرر مركبات مبخرة مثل (urée- formol) وهذه الأخيرة تكوّن 9% من وزن (م.د.ف) و هذا مضر لصحة الإنسان. بما أن الخشب مادة متوفرة و سهلة المنال و التصنيع و غير مكلفة ، فهي تستغل في عدة إنجازات في المتاحف ، لكن هذا يتم بشروط مثل ما ذكر في الأعلى كعزل الخشب قبل استعماله برسوخ مادة عازلة ، مثل ورق شفاف الألمنيوم (Tétrault ، 2009).

إضافة إلى نوعية المواد يستحسن الأخذ بعين الاعتبار العوامل المحيطية كالرطوبة و الحرارة و مساحة المقر الذي تحفظ فيه التحف و المواد الأخرى المستعملة في تهيئة التحف و مدى اقترابها.

قد ينجم عن وجود هذه الغازات المؤذية في أوساط المتحف أضرارا عديدة يمكننا عرض البعض منها ، كالأكسدة على المعادن و الانشقاق على التحف الزجاجية و كذا التغيير في لون الأنسجة و ضعف في التركيبة النسيجية إلى جانب اصفرار الورق (Goffard ، 2009). و حدوث هذا التدهور مرتبط و له علاقة وطيدة

بالمحيط البيئي و بالخصوص الرطوبة ، فمثلا فعل الأوكسدة لا يحدث في محيط رطوبته لا تتجاوز 50 % ، (Cecily ، 2006) و هنا أيضا تبرز أهمية مراقبة المحيط البيئي.

III المحيط البيئي :

لم تقام أية دراسة للمحيط البيئي في أوساط المتحف ، بالرغم من الضرورة و الاستعجال بكون المبنى يعاني من مشاكل تسرب المياه و الرطوبة و هذا ما يؤثر بدون شك سلبيا على معظم التحف سواء في المخازن أو في العرض.

بحث العديد من المختصين في صيانة اللقى الأثرية ، أن تحفظ هذه الأخيرة في محيط يطابق محيطها الأصلي أي الموقع الأثري أين عثر عليها ، و هذا صعب تحقيقه لأنه غالبا ما تفقد المعطيات التاريخية للقي منذ الحفرية إلى حين وجودها في المتحف. إضافة إلى أن المعايير المعمول بها لمراقبة المحيط البيئي المتحفي تتغير مع اختلاف خصائص اللقى الأثرية ، فمنها ما تحدد حسب المادة مثل : أنسجة أو معادن و معايير أخرى تركز على حالة حفظ التحف إن كانت هشّة أو مرممة أو جلبت من مناخ جاف أو رطب (Guillemard ، 1990).

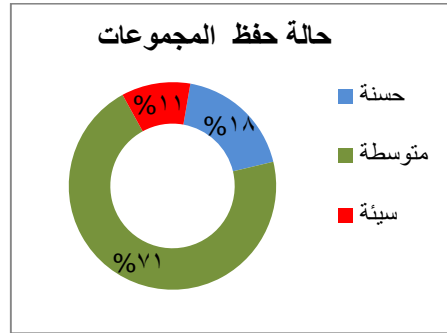
عدم مراقبة المحيط ، و فتح النوافذ في قاعات العرض مع العلم ان عددها يقارب 30 في الطابق السفلي قد يساهم أكثر في تدهور التحف من حيث تسرب الغبار و التلوث و الحشرات و هذا خطر على تحف الزيولوجيا و الحيوانات المحنطة. هذه الأخيرة التي تتطلب عناية خاصة لأنها عرضة لمداهمة الحشرات. تستلزم هذه العينات المحنطة الفحص عدة مرات في السنة ، و تستوجب التنظيف الكامل مرتين في العام دون نسيان الواجهات التي هي الأخرى تستحق الفحص و التنقية (Médard ، 2011).

في حين تعدد الاختصاصات في المتحف تجعله متحفا يصعب تسييره و حالة حفظ المجموعات أمر ضروري و من الأساسيات و لتحقيق ذلك على مسؤولي المتحف بمبادرة مراقبة المناخ في أوساط المتحف و تعديله و ذلك بعد إنجاز الإصلاحات الهامة على مستوى المبنى.

IV حالة حفظ المجموعات :

و نعرض فيما يلي نتائج دراسة حالة حفظ المجموعات ، مع التذكير أن مجموعة ما قبل التاريخ لم تدرس بعد و ليس لدينا اية معلومة حول حالة حفظها.

- مجموعات الآثار القديمة ، سجلنا في هذه المجموعة 22% حالة حفظ حسنة و 24% متوسطة الى جانب أعلى نسبة في حالة حفظ سيئة بما يعادل 54% من المجموع.
- بالإضافة إلى مجموع الجزنيات من الفخار المسجل في حالة حفظ سيئة ، و بهذا نحصل على حوالي 90% في حالة حفظ سيئة في قسم الآثار القديمة .
- مجموعات الآثار الإسلامية ، مجموعة متوسطة العدد و دُوّنت نسبة 53% في حالة حفظ حسنة و 19% حالة متوسطة و ما يقارب 28% في حالة حفظ سيئة. تقريبا ثلث المجموعة في حالة سيئة. لم يتم جرد المجموعات على السجلات الخاصة بذلك .
- مجموعة المسكوكات ، أما عن هذه المجموعة فرغنا نسبة 35% حالة حفظ حسنة و 26% حالة حفظ متوسطة بالإضافة إلى 39% حالة حفظ سيئة. مع العلم أنه لم تجرد كل المسكوكات و لن تنقل بعد على السجلات.
- العلوم الطبيعية ، فيما يخص هذا القسم فهو ينقسم بدوره إلى عدة مجموعات و لم يدرس منها إلا 45% و هي التحف التي جردت و في حالة حفظ حسنة و خاصة منها مجموعة الجيولوجيا. و تبعا للمجموعات الموثقة حصلنا على نسبة 75% حالة حفظ حسنة و 22% حالة حفظ متوسطة و 3% في حالة حفظ سيئة.
- مجموعة الإثنوغرافيا ، نتيجة الدراسة استنتجنا النتائج الآتية ، نسبة 48% حالة حفظ حسنة و 37% حالة حفظ متوسطة و حوالي 15% في حالة سيئة .
- مجموعة الفنون الجميلة ، سجلنا نسبة 66% في حالة حفظ حسنة و 28% حالة حفظ متوسطة و 6% في حالة حفظ سيئة .



مخطط بياني 3 : حالة حفظ المجموعات المتحفية

ما يمكن ملاحظته عبر المخطط أن النسبة السيئة تتقارب و النسبة الحسنة ، أما أكبر نسبة فهي تكمن في حالة حفظ متوسطة و هذه الأخيرة سوف تتطور أكثر نحو حالة سيئة إن طال الوضع الحالي للمجموعات. و هذا خاصة بالنسبة لمجموعات الزيولوجيا و الإثنوغرافيا حيث نحصى عدد كبير من المواد العضوية الحساسة .

يتكوّن قسم العلوم الطبيعية من مجموعات الجيولوجيا و هي من مواد معدنية و حجرية مختلفة أغلبها في حالة حفظ حسنة. و من مجموعات الزولوجيا التي تقوت نسبتها 57% من قسم العلوم الطبيعية تتركب من مجموعات علم الحيوانات أي بقايا حيوانية و حيوانات محنطة و مجموعة الحشرات المجففة . و هذه الأخيرة هي هامة عدديا حيث تتجاوز نسبتها 50% من الزولوجيا. و بالرغم من أهميتها فهي لم تدرس كليا بالأخص من جانب حالة الحفظ و تقدر النسبة غير المدروسة بحوالي 37% . كما سجلنا أن كل من مجموعة الطيور و الثدييات و كذا الأسماك و الزواحف لن تسجل عليها أية حالة حفظ حسنة.

كما أنه ليست بحوزة محافظي المتحف أية معلومات أو توثيق حول مجموعات علم الحيوانات ، خاصة المواد المستعملة في عملية التحنيط و طريقة المعالجة التي استخدمت لذلك وما هي المبيدات الحشرية التي استعملت ؟ و هذه المعطيات ضرورية لدراسة هذه العينات من التحف حتى يمكن عرض احتمال التلف و كيفية المعالجة. و خاصة أنه قد أجريت دراسات حول هذا الموضوع و اثبتت هذه الأخيرة عن وجود مواد سامة في أوساط الطيور المحنطة و منها مادة "الأرسنيك" التي استخدمت حتى عام 1993 و قد كانت تستعمل في عملية الدباغة في القرن 19 م وبداية القرن 20 م في المبيدات. و لقد أكدت أيضا الدراسة عن انتشار هذه المادة السامة في الهواء مع احتمال عودة على كل الحيوانات المحنطة (Pfister ، 2009).

و بالتالي فإن عدة مواد كيميائية أخرى استعملت في بداية القرن 20 ميلادي لتحضير و لحفظ الحيوانات المحنطة مثل (Dichloro diphenyl trichloroethane) (DTT) إلى غاية 1980 ، و مضاد للعثة (paradichlorobenzène) و الفرمالدييد إلى غاية سنة 2005 لحفظ عينات في السوائل. العديد من هذه المواد كانت تستخدم في أوساط الدراسات الزيولوجية و البعض منها ما زالت في ميدان الممارسة و أخرى منعت من الاستعمال (Marcotte ، 2013) . التعرف على هذه المواد الضارة يساهم في أخذ التدابير اللازمة للتقليص من إيداع المواد السامة و التلوث للذان غالبا ما يكونا ذا نسبة مرتفعة في الأماكن المغلقة مثل الواجهات و المخازن ، و يكون التفاعل أكبر إن لم تكن مراقبة المحيط البيئي (Edoumba ، 2013).

زيادة على هذا العامل الضار الذي تواجهه وحدات العلوم الطبيعية ، فهذه الأخيرة تتعرض يوميا إلى تغيرات المناخ في أجواء المتحف ، سواء كانت فصلية أو يومية. و ما يصح الإشارة إليه أن مجموعة الحيوانات المحنطة حساسة و تستوجب عناية و قائية من ناحية المحيط البيئي و لذلك ينصح من الأمثل الحفاظ على مناخ ما بين درجة حرارة 18°/20° و نسبة رطوبة 50% و 55% . فيما يتعلق بالإضاءة المستعملة في المتحف فهي غير لائقة و تعتبر ضارة لهذه الفئة من التحف ، حيث ينبعث من الأشعاع الضوئي سواء كان طبيعيا أم اصطناعيا شعاع ما فوق البنفسجي و ما تحت الأحمر و هاذين يحدثان تدهورا كيميائيا أو حراريا ، و لهذا فالإضاءة لا يجب أن تتجاوز نسبة 50 لوكس في أوساط عرض هذه العينات من العلوم الطبيعية (Michard ; Pequignot ، 2012).

زيادة على هذا فقنيتيات قسم الزيولوجيا حساسة ، و هي تحفظ في محيط يضاف إليه مادة ضارة و هي "الناقتلين" إضافة إلى الغازات السامة التي تنبعث من الحيوانات المحنطة ، كلها أعراض تساهم في تدهور التحف على المدى المتوسط أو البعيد. متحف " زبانا" هو الوحيد الذي يضم مجموعات هامة من العلوم الطبيعية ، فإن لم يحافظ عليها فلن يبقى للأجيال القادمة أي أثر ملموس عنها و بالخصوص عن الوحدات النادرة. نستنتج من خلال هذه المعطيات أنه من الضروري على محافظي المتحف القيام بدراسة مدققة حول المجموعات و المبني و المناخ السائد بأوساطه حتى يمكن معالجة الوضعية و التحكم فيها من أجل سلامة الموروث الثقافي.

الخاتمة

بعد تحليل وتقويم هذه المعطيات نستخلص أن متحف زبانا يعاني من عدة نقائص في مجال تسيير المجموعات المتحفية و هذا ما يتطلب تدخل في كل من تسيير المجموعات و الأثاث و توزيع المساحات. فأغلب الأثاث المستخدم للتخزين غير ملائم ، و أماكن التخزين شاغرة و غير مهيأة و المرور في أوساطها صعب. و من جهة أخرى يتطلب المحيط البيئي دراسة شاملة حتى يتمكن من تعديله على مستوى المبنى ، و نذكر أن المتحف متعدد الاختصاصات و عملية مراقبة المحيط و التحكم فيه هامة لاستقرار حالة حفظ المجموعات المختلفة. أما من الجانب الأمني ، لن يوضع أي مخطط للوقاية ضد الفيضان او تسرب المياه و خاصة أن هذا الوضع قد حدث فيما سبق بسبب قنوات تصريف المياه التي تمر تحت قاعات عرض المتحف. من مهام المتحف ، الحفاظ على الممتلكات الثقافية التي هي على عاتقه و تسيير مخطط للوقاية ضد الكوارث من الأساسيات و الأولويات لحماية هذا التراث.

و هذا ما يحث عليه قانون الديونولوجيا حسب المنظمة العالمية للمتاحف و يؤكد فيه على أساسيات التسيير المتحفي من أجل فعالية مرضية سواء من طرف الجمهور أو مختصين المتاحف. أما عن المعايير المعمولة بها في التسيير المتحفي قد تتطور للتجاوب و المتطلبات المختلفة لهذه المؤسسات الثقافية ، و على هذا الأساس تركز أولويات كل متحف في تسيير برنامج للحفظ و يعتبر هذا الأخير عنصرا هاما في سياسية المتحف و هو عبارة عن خطة تحتوي على القرارات التي يجب اتخاذها من أجل تجنب على قدر الامكان التلف للمقتنيات. أخيرا و في نفس السياق ، لقد أجريت في متحف 'زبانا' خلال السنة الفارطة بعض التدخلات في ميدان الحفظ الوقائي ، حيث استقبل المتحف تربص لمختصين المتاحف من أجل إعادة تنظيم و تهيئة البعض من مخازن المتحف ، مبادرة حسنة و تتطلب المتابعة.

المصادر

- 1 Alami-Viguié, S. 2015. Un protocole de marquage pour les objets archéologiques. une recherche technico- scientifique dans le domaine de la conservation-restauration *le carnet de la MAFKF*. <http://mafkf.hypotheses.org/1024>
- 2 Ballard, S. 2013. Protection du revers d'une peinture sur toile. Dossier technique. AAAT. Paris, pp. 8- 23
- 3 Benkada,S.1999. « La "Société savante" ; rupture et continuité d'une tradition associative: le cas de la Société de Géographie et d'Archéologie d'Oran », *Insaniyat* 8 : 119-128.
- 4 Cecily .M. Grzywacz. 2006. Monitoring for Gaseous Pollutants in Museum Environments, Getty Publications, Los Angeles.
- 5 Demaeght, C. 1894. Catalogue raisonné des objets archéologique du musée de la ville d'Oran. Oran.
- 6 Dignard,C. ; Mason, J. and Strang, T. 1995. La lutte préventive dans les musées. La Lutte préventive contre les insectes et les petits animaux. ICQ : 35- 46.
- 7 Doumergue, F. 1925. Historique du Musée d'Oran. 1° de l'année 1882-1898. *Bulletin de la société de la géographie et d'Archéologie de la Province d'Oran*. t. XLV. Fasc CLXIX. L.Fouque. Oran : 1-5
- 8 Dubus, M. 2009. Le Bois, « tout ce que vous devez savoir sur les vitrines en bois », in *Technè* n°29 : 101-108.
- 9 Edoumba, E. ; et ALII. 2013. Impact des variations climatiques sur l'émission des biocides organiques résiduels dans les collections d'histoire naturelle, in *Technè* n°38 : 118-122.
- 10 Gob, A. ; Drouguet, N. 2008. La Muséologie, histoire, développements, enjeux actuels, Paris.
- 11 Guillemard, D. 1990. « la conservation à long terme des objets archéologiques » in Berducou,M.C. La conservation en Archéologie.



- Méthodes et pratique de la conservation restauration des vestiges archéologiques. chap,10. Masson. Paris.367-406 pp.
- 12 Goffard, C. 2009. « Eviter l'erreur : le choix de matériaux stables pour le stockage et l'exposition des collections muséales ». *CeROArt*, n°3 | <http://journals.openedition.org/ceroart/1150> ; DOI : 10.4000/ceroart.1150
 - 13 Hatchfield, P. B. and Carpenter J.M. 1986. *The problems of formaldehyde in museum collections*, *Int. J. Museum Management and Curatorship*, n°5 : 183-188
 - 14 Hautecoeur, L.1993. Architecture et aménagement des musées, RMN, Paris.
 - 15 Marcotte, S.; Estel, L. 2013. "évaluer la pollution de l'air au muséum d'histoire naturelle de Rouen", in *La lettre de l'OCIM*, 145 : 13-17
 - 16 Masson, R. fiche d'identification du Musée du Site ou monument. Archives, Musée d'Oran. Centre de Documentation. Office National de Gestion et d'exploitation des Biens Culturels. Alger.
 - 17 Médard, B. 2011. La Mise en œuvre et limites de la conservation préventive au Muséum d'Histoire naturelle de Marseille. In *La Lettre de L'OCIM*, 138 : 16-23
 - 18 Michalowski, K.1966. Algérie, la modernisation des musées en Algérie. UNESCO. Algérie.
 - 19 Michard, J.G. ; Pequignot, A. 2012. Exposition et conservation d'une peau sub-fossile : le cas du mamouth de Lyakhov. in *La lettre de l'OCIM*, 141 : 24-32
 - 20 Naud, C. 2011. "*les soins des peintures*", Conservation préventive dans les musées.CCQ. Canada, 95-104 pp
 - 21 Pfister, A.L. 2009. « Mise en évidence et identification de biocides résiduels dans les naturalia », in *La lettre de l'OCIM*, 123 : 24-30
 - 22 Ravaux, G. ; Dubus, M. 2008. Vade-mecum des marquages d'identification des collections nationales, Ministère de la culture et de la communication. France.
 - 23 Season, T. 2007. Lignes directrices pour la mesure du pH en conservation, Bulletin technique, ICC, n° 28, Canada.
 - 24 Tétreault, J. 1993. Guidelines for selecting materials for exhibit, storage and transportation, Notes ICC, Canada.
 - 25 Tétreault, J.1999. revêtements pour l'exposition et la mise en réserve dans les musées, ICC, n° 21 : 1-12 pp
 - 26 Tétreault, J. 2010. Pellicule d'étanchéité bon marché, en plastique et en papier d'aluminium, ICC, 1/9 , Canada.